

سورة الدخان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (12)

شرح الكلمات:

ربنا اكشف عنا العذاب: أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آما بك وبرسولك.

المعنى الإجمالي:

فانتظر سأيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعم الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإنا مؤمنون بك.

أن الكافرين الذين يصيهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه ككشف ذلك الجهد عنهم.

قال ابن كثير في تفسير الآية : أي يقول الكافرون إذا غابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم . اهـ.

و يجوز أن يدعو بهذا الدعاء إذا لم يرتب عليه تركية النفس ومدحها ، وكان ذلك في محله .

وقد يأتي العذاب عقوبة لصاحب المعصية أو لأهلها ليكونوا عبرة وعظة لمن بعدهم كما فعل الله بالأمة السابقة والسعيد من وعظ بغيره، ولكن من رحمة الله بنا أن الله لا يهلك أمة محمد صوّأله وسلم بعذاب عام فعن سعد رضي الله عنه قال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني التين ومعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالشدة فأعطانيها وسأته أن لا يهلك أمتي بالرقق فأعطانيها ،

وسأته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها».

قد ينزل الله بقضته بأناس فيهم الحيث والطيب فتفهم هذه القيمة. لكن هذه القيمة بالنسبة للطيبين كقارث ذنوب ورفع درجاته وليس سخطاً عليهم. وقد جعل الله العقوبة للأمم الكافرة سنة له في خلقه، فقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَإِنَّ نَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ لَتَوْبَلًا﴾ [فاطر: 43]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أيم العقاب، يقول: فهل ينظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نعمتي على شركهم في وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بين قبليهم من أشكافهم من الأمم وقد جاءت الآيات تنوعد الأمم الكافرة بسنة الله الماضية في أهل الشرك والكفر ﴿وَإِنْ مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا فَلَوْلَٰنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الإسراء: 58].

من أسباب هذه العقوبات التي ينزلها الله بالناس ما يلي:

1- استعصاف العباد وظلمهم؛ قال-تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ أَمْثَلْنَاكُمْ لَمَّا ظَلَمْنَا وَجَعَلْنَا لِنَهْلِكُمْ نَجْدًا﴾ [الكهف: 59].

2- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير في القيام به.

3- العو والكفر والغرور.

4- كفران النعم.

5- الظلم والكفر.

6- الغلو في الدين.

7- التنافس في الدنيا والشح بما فيها.

الأسباب التي - مشيئة - يرفع الله بها بلاة كسبه عليه أو يخففه عنه بهذه الأسباب .. ومن هذه الأسباب وأهمها :

1- التقوى :ومعنى التقوى كما هو معروف : هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل .

2- أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجمع صوره)،

3- الدعاء من أفصح الأدوية ، وهو عدو السبلاء ، يدافعه ويعالجها ، ويمسح بزولته ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن .

4- الإنكار من الاستغفار والذكر .

5- الإفلاخ عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله .

6- البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه الربا .

7- إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام .

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

9- رفع الظلم ونشر العدل وإعطاء الحقوق إلى أهلها .

10- عدم الغرور والعجب والفاخر والتكبر والتعالي على الخلق .

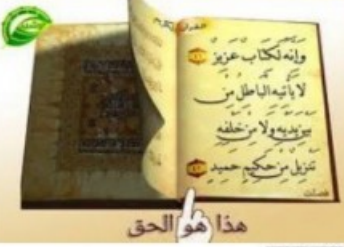
مضى يكون العذاب خاصا، ومضى يكون عاما؟! وإذا وقعت العقوبة شملت الصالح والطالح،

والخس والمسيء، فما مصير الصالح؟.

إن الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة، والأمر الرشيد، حكمه العدل، وقوله الحق، حرم الظلم على نفسه، وجعله بيننا محرما، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، حجة على الخلق، وشرع التوبة، وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتلا ينزل العذاب على عامة الأمة. وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يضع أجر من أحسن عملا، وأتم وإن هلكوا مهلكا واحدا، فإن الله يعنتهم على نياهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يعزو جيش الكعبة، حتى إذا كانوا بيداء من الأرض؛ خسف بأولهم وآخرهم. قالت عائشة: يا رسول الله! وفيهم سواهم، ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يعثون على نياهم). فيكون العذاب حينئذ عاما إذا كان الفساد عاما، وينجي الله المتقين، ويكون الكال خاصا إذا كان المنكر خاصا غير مسعلن، كما قال عز من قائل في خير قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [50].

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ

قوله ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ من تفسير سورة الصافات الآية 12
قدي ولا نباح

ولا تسونا من صالح دعواتكم

أعدتها (عزمي إبراهيم عزمي)

1

8- الدعاء من أسباب الفرح ومن أسباب كشف الضر وكشف البلاء قال الله سبحانه وتعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 56].

9- من دعا ربه لا يشقى بدعاء ربه بل إنما يسعد بذلك سواء في ذلك دعاء مسألة أو دعاء عبادة فإن الله عز وجل قد جاء هذه العبادة وسيلة إليه يتقرب بها إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: 35]

10- العذاب والكمال الذي توعدت به الرسل أقوامهم لم يكن مجرد عقاب وعيد؛ بل إذا تكلمت الأقوام عن الصراط، وعاندت المرسلين، واستكبرت على رب العالمين؛ فحينئذ يحق القول، وينزل بهم ما كان أنذرتهم إياه رسولهم.

11- أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبده فابتلاهم بالחסات والسيئات لينظر أيهم أحسن عملاً.

12- الدعاء دال على قرب صاحبه من الله فيسأله مسألة القريب للقريب لا نداء العبد للعبد .

13- الدعاء يجمع فيه أنواع العبادات مالا يجمع في غيره :

1. توجه القلب إلى المدعو وقصده بكلية .
 2. رجاء إجابته للدعاء والرجة إليه رغبة صادقة مع قطع الرجاء والأمل عن غيره .
 3. الخوف من عدم إجابته والرهبة والخشية منه
 4. التوكل والاعتماد عليه في قضاء الحاجات .
 5. تعظيم المدعو بأنواع التعظيم من التضرع والتذلل والخصوع والتملق والانطراح بين يديه .
 6. ذكر المدعو باللسان واللهج باسمه في السر والعلن وندائه والاستغاثة به والنفث باسمه .
 7. محبة المدعو فإن النفس مولعة بحبة من بحسن إليها .
- والله اعلم .. صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

6

الفوائد :

1- أن المصائب والكربات التي تصيب المؤمنين من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب فردية أو جماعية ،قال - عز وجل - : [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيَاتِكُمْ وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ] [الشورى : 30].

2- جعل هذه الكربات أو البلايا التي تصيب بها عباده المؤمنين بمثابة الدواء المر الذي يجرحه المريض ليشفي من مرضه ، وهذا المرض هو الذنوب التي تتراكم في صحائف أعمال العباد فتأتي هذه المصائب لتكفر الذنوب ، ولتبه ذوي القلوب الحية إلى العودة إلى الله بالتوبة إن أراد الله بما خيراً .

3- الظلم من المعاصي التي يجعل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة.

4- لا يوجد إنسان أثناء الشدة إلا ويقول يا رب عدت إليك أفئدني، وبالحساسة هذا الانحاء عند الشدة يسوي فيه كل الناس، لا فضل لك فيه، وأحق الكفار يدعو ربه عند الشدة ويقول يا رب أفئدني، ولذلك فالبطولة أن تكون في الرخاء ملتصقاً إلى الله عز وجل، وأنت في بخوحة وفي صحة، أما عند الشدة فكلمهم بتضرع ولكن قد لا ينفع هذا التضرع.

5- قد يتأخر العذاب الدنيوي، ويظن المغرور أنه على خير؛ خاصة إذا رأى نعم الله متواليه عليه، ومنه مترادفة إليه، ولا يعلم أن ما بينه وبين عذاب الله إلا كالمح الصر .

6- للعذاب أجلا مسمى وميقاتا معلوما لا يتأخر عنه ولا يتقدم، فانظر كم لبث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم ليؤمنوا، وهم يكذبونه ويتبهونوه، قال تعالى: ﴿لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَتِينِ﴾ [عناب: 33].

7- من كمال رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب، فكانت رسالات الرسل تجمع بين الدلالة على الخير، والتحذير من الشر، ترغيباً وترهبياً.

5